



Praise between Al-Musayyab Ibn Alas and Rudaki Samarqandi:

A comparative study

Buthaina Ali Shemous¹

¹ Faculty of Arts and Humanities, University of Tartous, University of Tartous (Syrian Arab Republic)

✉ b.shemous@gmail.com

Received:27/03/2024

Accepted:07/04/2024

Published:01/08/2024

Abstract:

Praise is one of the poetic purposes that poets have paid most attention to. It is believed that praise is the basis of other poetic purposes, hence poets and researchers in various cultures, such as Arabic and Persian, have given it their attention. Among those illustrious names who dealt with praise as a primary purpose in poetry are the Arab poet Al-Musayyab Ibn Alas and the Persian poet Rudaki Samarqandi. Using a descriptive analytical approach, this article attempts to compare praise between these poets and discover the similarities and the differences between their poetry. The study concludes that the issue of profiteering from poetry, which is related to the personality of the poet, was present in the minds of both, in addition to the presence of other motives related to the personality of the praised. The two poets focused on highlighting the image of the praised and ignored everyone else except while he serves to highlight the qualities of the latter. Rudaki, for instance, praised the moral and physical qualities of the praiseworthy, in contrast to Al-Musayyab, who paid attention only to his moral qualities. The image of the praised, however, was overshadowed by the actual reason for praise; be it a reward or a genuine admiration for the praised. The present article in this sense is an attempt to highlight a very prominent characteristic of old poetry.

Keywords: *Poetry; Praise; Al-Musayyab Ibn Alas; Rudaki Samarqandi.*

المدح بين المسيب بن علس ورودي السمرقندي: دراسة مقارنة

بثينة شمس¹

¹ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس (سوريا)

b.shemous@gmail.com ✉

تاريخ النشر: 2024/08/01

تاريخ القبول: 2024/04/07

تاريخ الاستلام: 2024/03/27

ملخص:

يُعدُّ المدح من أكثر الأغراض الشعرية التي لاقَتْ اهتماماً لدى الشعراء منذ القدم، ويعود ذلك إلى اعتقاد بعضهم بأن غرض المدح أساس الشعر الكامل، وقد لاقى اهتماماً من الشعراء والدارسين في الثقافات كافة، ومن ذلك: الثقافة العربية والفارسية، ومن بين الأسماء اللامعة التي تناولت المدح كغرض أساسي في الشعر: الشاعر العربي المسيب بن علس والفارسي رودكي السمرقندي؛ لذا عملنا في هذه الدراسة على مقارنة المدح بين شعريهما - وفقاً للمنهج التحليلي الوصفي - في محاولة لكشف نقاط التشابه والاختلاف بينهما، وكان من أهم ما توصلت إليه الدراسة أن كليهما اهتم اهتماماً كبيراً بإظهار التكسب في مدحه كدافع يكمن وراء شعره، وهو مما يتعلق بذات الشاعر وشخصيته، فضلاً عن وجود دوافع أخرى تتعلق بشخصية الممدوح؛ كما أنهما ركزا على إبراز صورة الممدوح وأغفلا ما عداه إلا فيما يخدم إبراز صفات الممدوح، وقد تميّز رودكي عن المسيب بثنائه على الصفات الخلقية والجسمية للممدوح، خلافاً للمسيب الذي ركّز على صفاته الخلقية فقط. لقد هدف البحث إلى كشف جانب من جوانب القصائد المدحية التي تبرز صورة الممدوح والآخر ودوافع المدح، مع التأكيد على أن تلك الدوافع تظل صورة الممدوح، وتشدّد في رسمها على ما يلبي تلك الدوافع، وبهذا يكون البحث قد أضاء على جانب من جوانب الشعر القديم.

الكلمات المفتاحية: الشعر؛ المدح؛ المسيب بن علس؛ رودكي السمرقندي.

1. مقدمة:

لطالما ارتبط المدح في الشعر بالحياة الاجتماعية والاقتصادية السائدة في المجتمع، إذ لا يخفى على دارسي الأشعار على امتداد العصور الأدبية أن المدح يرتبط في أذهان الممدوحين والمادحين بالعطايا والهبات، وهو يعكس -بشكلٍ ما- الوضع الاجتماعي والاقتصادي الجيد للممدوح، والمتوسط أو ما دونه للمادح، وقد تطوّرت بنية القصائد المدحية بوصفها الغرض الأهم الذي تطرّق إليه الشعراء، وبلغت مكانة جعلت الكثير من الدراسين يُعدّها أساس الأغراض الأخرى ومركزها، ولعل من أوائل شعراء الثقافة العربية الذين طرّفوا المدح في أشعارهم المسيب بن علس؛ إذ تبدي أشعاره -التي ضاع الكثير منها- أنه كان يعيش على التكبّب، وربما كان من أوائل من اتخذوا أشعارهم وسيلة للتكبّب كما أشار جامع ديوانه، ولم يكن ذلك ليُتاح له لولا تضخيمه للممدوحين مقارنةً بنفسه وبالآخرين. من جانب آخر؛ لا تختلف أرضية الثقافة الفارسية عن العربية في هذا الإطار كثيراً، فالمدح كان وسيلة للتكبّب والهبات لدى الفرس، وقد ذاعت شهرة مجموعة من الشعراء بناءً على خلفية قصائدهم المدحية التي لم تختلف بواعثها كثيراً عما كانت عليه في العربية، إذ كان التكبّب -غالباً- والإعجاب الصادق -أحياناً- باعثاً لتلك القصائد، ومن أبرز الأسماء التي لمعت في المدح في الشعر الفارسي وأقدمها "رودكي السمرقندي"، إذ لُقّب بأبي الشعر الفارسي وبأستاذ الشعراء، ونظراً لأقدمية الشاعرين المذكورين، وسبقهما على شعراء الثقافتين العربية والفارسية من جهة، ولاشتهما بالمدح من جهة أخرى، قارنت الباحثة المدح بينهما، دون التطرّق إلى بنية القصيدة المدحية، وذلك لأن ما وُصل إلينا من المسيب لا يكفي للخوض في بنية كاملة، وهو ما جعلت الباحثة تنصرف إلى دراسة صور متكررة في أشعارهما المدحية، ولكن قبل ذلك لا بد من تقديم الخطوط الرئيسية التي سيقوم عليها البحث؛ كالمناهجية، والأسئلة، والتعريف بأهم المصطلحات الواردة، وحياة الشاعرين، قبل الانتقال إلى الجزء الأساسي من البحث تحت عنوان: "الدراسة التطبيقية".

خلفية الدراسة

لم يجد الباحث دراسة تهتم بالمدح لدى "المسيب بن علس" سوى ما جاء في مقدمة ديوانه للدكتور "عبد الرحمن محمد الوصيفي" الذي درس شعر المسيب دراسة عامة في المقدمة؛ أما فيما يتعلق بالمدح لدى الشاعر "رودكي" فقد تطرّقت له دراسة للباحث "ميرزا ملا أحمدوف" بعنوان "المدح في أشعار رودكي" باللغة الفارسية، نشرت على الشبكة العنكبوتية في موقع "راسخون"، والتي يبدو أنها مقتبسة من كتاب تحدث عن الشاعر "رودكي" للمؤلف ذاته، وقد تطرّق في المقالة المذكورة إلى ممدوحيّ الشاعر، وإلى أسلوبه المدحي، والأغراض التي امتزجت بالمدح في قصائده، ولم يتحدث عن دوافع المدح، وصورة الممدوح أو الشاعر أو الآخر مما ورد في بحثنا الراهن، كما تطرقت الدراسة العامة التي وردت في مقدمة ديوان الشاعر "رودكي" للدكتور: "سعيد نفيسي" إلى المدح لديه،

وتناولت أسلوبه المدحي، ولكن لم تجرى دراسة مقارنة بين هذين الشاعرين في المدح أو في أيّ مجالٍ آخر، مما استدعى الأمر لتقديم مادة مرجعية بهذا الخصوص.

إشكالية الدراسة وأسئلتها

برز في هذه الدراسة عدد من الإشكاليات انطلاقاً من قلة وجود دراسات تتعلق بالشاعرين المذكورين في مجال المدح، أو أية دراسات مقارنة بينهما، ومن الرغبة بالإضاءة على الجوانب المشتركة بينهما، وأملاً بتوسيع إطار الدراسات المقارنة بين الأدبيين: العربي والفارسي، لذا قام هذا البحث بتسليط الضوء على مجموعة من الأسئلة، وعرض الإجابة عنها؛ وهي:

- ما هي الدوافع التي دفعت بكل من "المسيب بن علس" و"رودي السمرقندي" إلى المدح؟
- كيف تجلت صورة كل من الشاعر والممدوح والآخر في الأشعار المدحية للشاعرين المذكورين؟
- ما هي نقاط التشابه والاختلاف في الدوافع والصّور بين ما قدّمه لنا الشاعران المذكوران؟

1.1 المنهجية

قامت هذه الدراسة وفقاً للمنهج التحليلي الوصفي، بناءً على أسس المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن التي تعمل على تقصي نقاط التشابه والاختلاف بين الظواهر المدروسة، وبدأ البحث بمقدمة تتكون من تعريفات نظرية لغرض المدح وحياتة الشاعرين وأشعارهما، عقبها دراسة تطبيقية تكونت من خمسة عناوين فرعية؛ أولها: دوافع المدح، وثانيها: صورة الممدوح كما برزت في الأشعار المدحية، وثالثها: صورة الشاعر، ورابعها: صورة الآخر؛ والتي شملت بدورها الآخر العدو، والآخر غير العدو، وخامسها: المبالغة في المدح لدى الشاعرين، وقد دُرِس في العناوين الفرعية جميعاً ما تضمنه العنوان لدى الشاعر العربي: "المسيب بن علس" أولاً بعد شرح معاني المفردات كما وردت في ديوان الشاعر، ثم لدى الشاعر الفارسي: "رودي"، واستشهد لكلّ منها بما أتيج من شواهد تخدم الفكرة، وعقب ذلك قراءة مقارنة بين شعر الشاعرين فيما سبق ذكره، ثم انتهى البحث بأهم النتائج.

1.2 مصطلحات الدراسة

1.2.1 تعريف المدح

ورد الفعل "مدح" في المعاجم بمعنى: أحسن الثناء عليه، والمدح: الوصف الجميل، ونقيضه الهجاء والذم (الزبيدي، 1994، 111/7 مادة مدح)، وقد عرّفه القدماء بأنه الثناء بصفات خُلقية أو جسمية، وهو مقصور على الجوانب النفعية؛ فيكون عرفاناً بالجميل وطلباً للنوال، ورغبة في الصفح أو المغفرة، وأملاً في تحقيق هدف كبير (شوارب، 2008، 11-13)، وهو ما يتضح لدى الشعراء الذين اهتموا بالمدح، ودوافعهم للجؤنهم إليه.

1.2.2 المسيب بن علس

هو المسيب بن علس بن مالك، وذكر بعضهم أن اسمه زهير بن علس، ولقبه المسيب، وهناك خلاف بين الباحثين على نسبه (ابن علس، 2003، ص 13-18)، وقد كان أحد المقلّين المفضّلين في الجاهلية، ويلقب بأبي الفضة، وهو خال الأعشى ميمون، وكان الأعشى راويته (الجبوري، 2002، ص 383). لُقّب بالمسيب حتى غلب اللقب على اسمه، وقد اختلفت الروايات على سبب لقبه، غير أنها أجمعت على أن "المسيب" لغة: المخلى يسير حيث يشاء (العاني، 1982، ص 212-213). عاش المسيب في العصر الجاهلي، وهو من أحد بطون قبيلة ربيعة بن نزار، ويرجح أنه توفي سنة 580م، ولم يصل من ديوانه سوى القليل (ابن علس، 2003، ص 20-21 & 50).

1.2.3 رودكي السمرقندي

هو أبو عبد الله جعفر بن محمد، المعروف برودكي السمرقندي. ولد في سمرقند، ويعرف بأبي الشعر الفارسي، وهو من المكثرين في الشعر، إذ يُزعم أنه نظم أكثر من مليون وثلاثمئة ألف بيت شعر لم يصل منها إلا القليل، وقد نظم "كليلة ودمنة" نظماً، ولم يصل منها إلا قطع متفرقة، إذ اندثرت معظم أشعاره نتيجة الحملات المغولية (السمرقندي، 1954، ص 11-12). ولد ضريراً في ناحية "رودك" من سمرقند، ولكنه كان حادّ الذكاء، وهو أول من قال الشعر الجيد، واشتهر بشعر القصور، إذ عاش على عطايا الملوك والأمراء، ولكنه مات فقيراً. عُرف بالإغراق والتملق في شعره، وقد ضاعت معظم أشعاره (لوي، 1958، ص 25-26). اهتم رودكي بالمحسنات في شعره، دون أن يؤثر ذلك على بساطته ووضوحه وبعده عن التكلف والصنعة (فلاح، 1976، ص 18-19)، فكثر في الصور البيانية القوية والتشبيهات الحسية، كما اهتم في شعره بالأغراض الشعرية المعروفة عامة، غير أن المدح نال القسط الأكبر من أشعاره (خسروي، 1970، ص 73-86).

وقد اختير هذان الشاعران في البحث الراهن لما وُجد من نقاط مشتركة بينهما؛ منها أسبقية كليهما بين شعراء قومه، ومنها أن المدح نال اهتماماً لدى كليهما أكثر من بين بقية الأغراض الشعرية، ومنها أن المدح لديهما كان -غالباً- بغاية التكبّب، كما تشابها -أيضاً- في النقاط التي ركّزا عليها في تصوير الممدوح، وإبراز تلك النقاط ودراستها دراسة مقارنة.

2. الدراسة التطبيقية

2.1 دوافع المدح

لجأ الشعراء إلى المدح لدوافع عدة اختلفت باختلاف غاياتهم، إذ يتضح أن منهم من يتخذ المدح وسيلة للتكسّب، فيكون اللجوء إلى المدح بدافع ذاتي يصدر عن الشاعر ذاته، ومنهم من لا يبتغي منه منفعة إلا بيان إعجابه

بالممدوح، أو شكره على صنيع فعله، وعندها يكون المدح ناتجاً عن صفات تصدر عن الممدوح، ولكن قلماً يظهر أن المدح ناتج عن الإعجاب الصادق، فالسمة الغالبة فيه هي المبالغة بشكل يفقد القصيدة سمة الصدق.

2.1.1 دوافع المدح في شعر المسيب

أولاً: التكتسب

اتخذ الكثير من الشعراء المديح وسيلة من وسائل التكتسب والعيش والوصول إلى الأمراء والسلاطين، وقطعوا لذلك كل سبيل، وأراقوا ماء الوجه، وتوسلوا الممدوح واستجدوه (عبد الرحيم، 2010، ص 423)، فالدخول في مجال التكتسب بالمدح يعدّ منعطفاً خطيراً وحاداً في مسار المدح العربي، إذ بدأ الشعراء يتخفون من قيود القبيلة والالتزام بمصالحها، ثم التحلل -فيما بعد- منها، وقد يكون ذلك نتيجة لظروف اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية (شوارب، 2008، ص 120-121)، وبصدد تحليل تلك الظروف، أو دراسة ذلك الانعطاف، فإنّه من الضروري الإشارة إلى أن التكتسب لم يقترن إلا بالذاتية والانخلاع عن الجماعة عند المادح، وهذا يدل على الاعتقاد بأن هذا الدافع يتعلق بذات الشاعر وحبّه لتلك الذات، ومن خلال تتبع أبيات المدح في ديوان المسيب فيما دلّ منها على غايته من المدح اتضح أنه صرّح غير مرة بلجونه إلى المدح لما ناله من الممدوح أو ما سيناله منه لاحقاً، ومن ذلك مثلاً قوله (ابن علس، 2003، ص 108):

قَبْلَ امْرِئٍ تُرَجَى فَوَاضِلُهُ قَدْ نَالَنِي مِنْ بَاعِهِ طَلْقُ⁽¹⁾

فقد ذكر الشاعر -هنا- أنه يرجو فضل ممدوحه لما ناله من ذلك الفضل فيما مضى، وهو ما كرره غير مرة؛ إذ يقول (ابن علس، 2003، ص 119):

وَلَقَدْ تَنَاوَلَنِي بِنَائِلِهِ فَأَصَابَنِي مِنْ مَالِهِ سَجْلُ⁽²⁾

فتكرر المعنى ذاته بعبارات مغايرة كدليل على تأكيد غاية التكتسب من الممدوح، وهو هنا لم يظهر حاجته، بل اكتفى بالثناء عليه لإغداقه في العطاء، ويتضح مرة أخرى أن الشاعر يقصد الممدوح قصداً، فما وراء القصد معروف، وإن لم يصرّح به؛ إذ يقول (ابن علس، 2003، ص 86):

وَالنَّيْكَ أَعْمَلْتُ الْمَطِيَّةَ مِنْ سَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ بِالْقَفْرِ⁽³⁾

لكنه لم يداوم على عدم إظهار حاجته في تكسبه، فنراه في بيت آخر يظهر عوزه، ويمدح الممدوح لقضاء حاجته وفكّ ضيقه، فيقول (ابن علس، 2003، ص 109):

(1): الطلق: النصيب.

(2): النوال: العطاء، والسجل: الدلو المملأ.

(3): القفر: اسم موضع.

قَدْ نَالَنِي مِنْهُ عَلَى عَوَزٍ مِثْلُ النَّخِيلِ صِغَارُهَا السُّحْقُ⁽¹⁾

تُظهِرُ الأبيات السابقة أن الشاعر كان يمدح لكسب الهبات والعطايا من الممدوح، غير أنه يتضح وجود أبيات مدحية في ديوانه لم تبدُ فيها مسحة التكبُّب، فكان له فيها غرض آخر.

ثانياً: الإعجاب

يظهر لنا إعجاب الشاعر بالممدوح في أبيات لا يكون له نية في الارتزاق منها، وهو ما نراه في قوله (ابن علس، 2003، ص 103):

أَلَكِ السَّكْدِيرُ وَبَارِقُ وَمَنَابِضُ وَلَكِ الْخَوْرَنُقُ
وَالْقَصْرُ مِنْ سِنْدَادِ ذِي الشُّ رُفَاتٍ وَالنَّخْلِ الْمُنْبِقُ⁽²⁾

فلا تبدي الأبيات غرضاً مخبوءاً غير الإعجاب، وهو ما قلّ في ديوانه، غير أن بعض الأبيات المدحية كانت تتسم بطابع الشكر للممدوح كما سيتضح.

ثالثاً: الشكر

يكون شكر الشاعر للممدوح غالباً على صنيع فعله، أو على معروف قام به في حقه، أو في حق غيره، وهو ما يتضح في قوله (ابن علس، 2003، ص 119):

فَلَأَشْكُرَنَّ فُضُولَ نِعْمَتِهِ حَتَّى أَمُوتَ وَفَضْلُهُ فَضْلُ

فالغاية شكر صادق على ما كان من عطاء، ونرى مرة أخرى هذا الشكر في قصيدة أخرى إذ يقول (ابن علس، 2003، ص 124):

جَزَى اللهُ عَنِّي وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ عُمَارَةَ عَبْسٍ نُضْرَةً وَسَلَامًا
هُوَ الْمُشْتَرِي مِنْ طَيْبٍ بِخَمِيْسِهِ خُمَيْسَ بْنِ بَدْرِ رَجْعَةً وَتَمَامًا⁽³⁾

فالدعاء للممدوح هو وجه آخر لشكره وإظهار الامتنان له.

ومن هنا يتضح أن غاية المدح تأرجحت لدى المسيب بين الإعجاب والشكر والتكبُّب الذي نال النصيب الأكبر بينها.

(1): العوز: الحاجة. النخلة السُّحُوق: الطويلة التي بَعْدَ ثمرها عن المجتني.

(2): السَّدِير: نهر، ويقال قصر. بارق: جبل بالسواد قريب من الكوفة. الْخَوْرَنُق: قصرُ النعمان. السنداد: قصر أو مكان للنعمان بن المنذر أيضاً، أو اسم نهر. نخل منْبِق: مصطَف على سطر مستوي.

(3): عمارة عبس: عمارة بن زياد العبسي. الخميس: الجيش.

2.1.2 دوافع المدح في شعر رودكي

عند البحث في ديوان رودكي وأبياته المدحية عن الدوافع التي تكمن خلفها سيتضح أنها لا تختلف كثيراً عما وُجد عند المسيب إلا في الخطوط الفرعية، فقد تراوحت -أيضاً- بين تكسب وإعجاب وشكر كما سيتضح.

أولاً: التكتسب

نال التكتسب المقام الأول في الدوافع التي بعثت بالشاعر إلى اللجوء إلى المدح، فنراه يذكر غير مرة أن من يمدح الممدوح لا يعود خالي الوفاض، ومن ذلك قوله (السمرقندي، 1954، 113):

آفرين ومدح سود آيد همی گر به گنج اندر زیان آید همی

(الثناء والمدح يعودان بالفائدة عليك على الرغم من أنهما يعودان بالضرر على كنوزك)

ويتضح من الشاعر أنه يعلن مرة أخرى أن المادح -بشكل عام- لا يمدح إلا بغية الهبات والعطايا، ومن ذلك (السمرقندي، 1954، 79):

سیرت او تخم کشت و نعمت او آب خاطر مداح او زمین برومند

(سيرته كالبذرة وعطاؤه كالماء، ومراد المادح أرض تطلب الخيرات).

يتضح أن قصد التكتسب واضح في الشطر الثاني، كما يتضح ذلك يتكرر في بيت آخر (السمرقندي، 1954، 102):

شاعر زی او رود فقیر و تهی دست با زر بسیار بازگردد و حملان

(يقصده الشاعر فقيراً ومعدماً، ويعود من لقاءه محملاً بالذهب)

فقد كان قصد التكتسب في الأبيات السابقة واضحاً، غير أن الشاعر لم يخصّ به نفسه وحسب، بل جعله سمة عامة على الشعراء، ولكنه في مواضع أخرى لم يُراعِ هذا التعميم؛ إذ خصّ نفسه بالتحديد بالتكتسب من مدحه، فيقول (السمرقندي، 1954، 84):

بداد میر خراسانش چل هزار درم درو فزونی یک پنج میر ماکان بود

زاولیاش پراکنده نیز هشت هزار بدان رسید بدان وقت، حال خوب این بود

(وهبني أمير خراسان أربعين ألف درهم أخذ منها الأمير "ماكان" -أحد قادة مازندران- خمسها،

وأعطتني حاشيته ثمانية آلاف متفرقة، وهذا ما جعلني بحال جيدة)

وهو يبلغ حدّ التكتسب في قوله (السمرقندي، 1954، 84):

کجا به گیتی بودهست نامور دهقان مرا به خانهای او سیم بود و حملان بود

(أينما وجد شخص معروف في هذه الأرض ستراني ذاهباً إليه لأحصل على عطاياه).

ومنه قوله (السمرقندي، 1954، 84):

چو میر دید سخن و داد دادِ مردی خویش از اولیاش چنان کز امیر فرمان بود

(عندما يستحسن الأمير شعري يبدي لي كرمه؛ فيأمر لي بمال يعطيني إياه أعوانه).

ومرة أخرى يبدي رغبته بالعطايا؛ وذلك بتشبيه نفسه بمزرعة تنتظر المطر، إذ يقول (السمرقندي، 1954،

:88)

مرا جود او تازه دارد همی مگر جودش ابرست، ومن گشتزار

(دائماً ما يتجدد علي فيض كرمه؛ كما لو أنه غيم، وأنا مزرعة).

ثانياً: الشكر

يتضح -في مواضع متفرقة- أن الشاعر اختار المدح ليشكر ممدوحه على معروف صنعه، وقد اختار الشاعر

طريقه في الشكر عن طريق الدعاء للممدوح دعاءً مغلفاً لشكره؛ من قبيل (السمرقندي، 1954، 85):

ایزد هرگز دری نبندد بر تو تا صد دیگر به بهتری نگشاید

(لا أغلق الله باباً في وجهك إلا وفتح لك مئة باب أفضل منه!)

كما يعود الشاعر إلى الفكرة ذاتها في شكر الممدوح؛ وذلك بوعده بمواصلة مدحه، كقوله (السمرقندي، 1954،

:135)

تا زندهام مرا جز مدح تو دگر بار کشت ودر وردم اینست، خرمن همین وشد کار

(سأستمر في مدحك طيلة عمري؛ فهذا الكلام محصولي، وهذه أرضي المحروثة والمعدة للزراعة)

ثالثاً: الإعجاب

يتضح في مواضع أخرى أنه يبدي إعجابه بالممدوح، كما في قوله (السمرقندي، 1954، ص 128):

هر آنچه مدح تو گویم درست باشد وراست مرا به کار نیاید سریشم وکیلا

(ما قلته في مدحك صحيح وحقيقي؛ فليس من كلامي ما يمكن أن يكون غير ذلك).

وعليه؛ يتضح أن الشاعر "رودكي" اختار مدحه بما يناسب أغراضه المختلفة بين شكر وإعجاب وتكسب،

وهو ما نال حظاً أوفر من بقية الأغراض التي دفعت بالشاعر إلى سلوك طريق المدح.

2.2 صورة الممدوح في أشعارهما المدحية

عمل شعراء المدح عامة على إبراز صورة الممدوحين في أشعارهم؛ فأبرزوا ما امتازوا به من صفات حميدة، وهو

العمود الأساسي الذي تقوم عليه القصيدة المدحية، وقد كانت تلك الصفات متناسبة مع البيئة؛ ففي البيئة الصحراوية

تكون الشجاعة والفروسية السمة الأبرز، وفي بيئة حضرية تهتم بالعلم يكون الاهتمام به سمة بارزة. وعليه؛ فإن

الشعراء -ومنهم الشاعران المختاران في الدراسة- شكلوا صورة عامة للممدوحين، وركزوا على صفات معينة.

2.2.1 صورة الممدوح في شعر المسيب

استعرض المسيب صورة عامة للممدوحين الذي نالوا حظاً من شعره، وأهم ما تميزت به تلك الشخصيات: **أولاً: الكرم**

ليس من الغريب -وفقاً لرأي الدارسين- أن يتصدر وصف الممدوح بالكرم قائمة النعوت في بيئة يطحنها الفقر والجدب (شوارب، 2008، ص 99)؛ فكيف إن كان الشاعر في أغلب الأوقات يمدح بغاية التكسب؟! لا بد - حينها- من أن يحتل الكرم السمة الأولى التي ركّز عليها في ممدوحه؛ فهذا الممدوح كريم يغدق عليه بالعطايا، وقد تكررت الإشارة إلى كرم الممدوح غير مرة في شعره، ومن ذلك قوله (ابن علس، 2003، ص 87):

وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ بِالْعَطَاءِ مِنَ الرَّيِّ (1)
نِ لَمَّا جَادَ بِالْقَطْرِ (1)

فكرم الممدوح لا يقتصر على الشاعر، بل يعمّ ليشمل من حوله جميعاً، ومنه قوله (ابن علس، 2003، ص 88):

وَلَهُ جِفَانٌ يَدْجُونَ بِهَا (2)
لِلْمُعْتَفِينَ وَلِلَّذِي يَسْرِي (2)

وهو ما تكرر مرة أخرى في قوله (ابن علس، 2003، ص 98):

وَإِذَا تَهَيَّجُ الرِّيحُ مِنْ صُرَادِهَا (3)
أَخْلَتَ بَيْتَكَ بِالْجَمِيعِ وَبَعْضَهُمْ (3)
وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنْ خَلِيَجٍ مُفْعَمٍ (3)
مُتْرَاكِمِ الْأَدْيِ ذِي دُفَاعٍ (3)

فالممدوح في شعره مقصد للجميع لكرمه، ومن ذلك أيضاً (ابن علس، 2003، ص 108-109):

وَأَعْرُ تُقْصِرُ دُونَ غَايَتِهِ (4)
مَنْ لَيْسَ فِيهِ حِينَ تَسْأَلُهُ (4)
عُرَّ السَّوَابِقِ حِينَ تَسْتَبِقُ (4)
بِخْلٍ وَلَا فِي صَفْوِهِ رَفْقُ (4)

ومن الأبيات الدالة على كرم الممدوح -أيضاً- قوله (ابن علس، 2003، ص 117-119):

كَمَّاهُ مُخْلِفةً وَمُتَلَفَةً (5)
يَهَبُ الْجِيَادَ كَأَنَّهَا عُسْبُ (5)
وَأِذَا الشَّمَالُ حَدَّتْ فَلَا تُصْهَأُ (5)
وَعَطَاؤُهُ مُتَخَرِّقٌ جَزِلُ (5)
جُرْدًا أَطَارَ نَسِيلَهَا الْبَقْلُ (5)
رَتَكًا فَلَيْسَ لِمَالِكٍ مِثْلُ (5)

(1): الرِّيَان: جبل في ديار طيئ لا يزال يسيل منه الماء.

(2): جِفَان: جمع جفنة، وهي أعظم ما يكون من القِصَاع.

(3): الصَّرَاد: ريح باردة مع ندى. الناب: الناقة المسنّة. الجعجاج: المكان الضيق الخشن الغليظ. أخلت: أقمت. الأوزاع: بيوت منتبذة عن مجتمع الناس. الخليج: نهر يقطع من النهر الأعظم إلى موضع ينتفع به فيه. مفعم: ممتلئ. الأدي: الموج الشديد. الدفَاع: كثرة الماء وشرته.

(4): أَعْرُ: كريم الأفعال واضحها. عُرَّ السوابق: من غرة الشيء، أي: أوله. البخل والبخل: ضد الكرم. رفق: كدر.

فُلِ التَّرِيكِ كَأَنَّهُ رَأُلٌ (1)

لِلضَّيْفِ وَالْجَارِ الْقَرِيبِ وَلِلطِّ

فالسمة الظاهرة والأهم في الممدوح عند المسيب هي الكرم؛ إذ ليس لكرمه حدود، لكن الصورة لا تكتمل إن لم يحدد الشاعر صفات أخرى، وهو ما سنتابع في تفصيله.

ثانياً: الشجاعة

فرضت البيئة القاسية في الجاهلية على صورة الممدوح أن يكون من أبرز ملامحها القوة والشجاعة (شوارب، 2008م، ص 101)؛ لذا نالت الشجاعة حظاً طيباً من صفات الممدوح في شعر المسيب أيضاً، فالبيئة التي كان فيها الشاعر تتغنى بالفروسية والشجاعة في حياة تستمر بالحروب، ومن ذلك (ابن علس، 2003، ص 86-87):

وَتَوَاجَهُوا كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ

أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا

يَقَعُ الصُّرَاخُ وَلَجَّ فِي الدُّعْرِ (2)

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ

ومنه -أيضاً- قوله (ابن علس، 2003، ص 109):

شُدَّ الْمَنَاطِقُ تَحْتَهَا الْحَلَقُ (3)

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ

وكذلك قوله (ابن علس، 2003، ص 97-99):

أَفْضَلْتَ فَوْقَ أَكْفِهِمْ بِدِرَاعِ

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَدَافَعَتْ أَرْكَانُهَا

مِنْ مُخَدِّرٍ لَيْثٍ مُعِيدٍ وَقَاعِ (4)

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ فِي الْأَعَادِي كُلِّهَا

فمن يستحق المدح في بيئة البادية القديمة فلا بد من أن يتسم بالشجاعة بين أناس كانت الحروب والغارات

شغلهم الشاغل.

(1): تخزق في الكرم: اتسع. الجزل: العظيم. العسب: جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوضها. النسيل: ما سقط من الشعر أو الوبر أو الريش. البقل: كل نابتة في أول ما تنبت فهو البقل. الشمال: ريح تهب من قبل الشام، ويقال للشمال "حدواء" لأنها تحدو السحاب؛ أي: تسوقه. القلائص: جمع قلوص؛ وهي الناقاة الشابة. الرتك: النوق الزاتكة، وهي التي تمشي وكأن برجليها قيداً وتضرب بيديها، وهي مشية فيها اهتزاز. التريك: الذي لا يريعه أحد. الرأل: ولد النعام.

(2): أسامة: من أسماء الأسد. لَجَّ في الأمر: تهادى عليه وأبى أن ينصرف عنه، ولَجَّ في الدُّعْرِ: تتابع الناس في الفزع.

(3): المناطق: جمع المنطق، وهو كل ما شددت به وسطك. الحلق: السلاح عامة، والدروع خاصة.

(4): تدافعت: تزاومت. ركن الرجل: قومه وعدده. أفضل: زاد. خدر الأسد: أجمته؛ والأسد المخدر: الذي اتخذ الأجمة خدراً. المعيد: الذي يفعل الشيء مرة بعد مرة. الوقاع: من الوقيع، وهي الحرب والقتال.

ثالثاً: اللين وحسن المعشر

لم تنفِ شجاعة الممدوحين الذين كان يذكرهم المسيب في شعره صفة اللين عنهم؛ فقد كانت شجاعتهم في موضعها، ولينهم في موضعه؛ لذا خصّ الشاعر هذه الصفة بما يمكن أن يتغنى به من صفات الممدوح عامةً، ومن ذلك قوله (ابن علس، 2003، ص 108-109):

بَحْرٌ مِنَ الْمَدَادِ ذُو حَدَبٍ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَا بِهِ غَلَقٌ
مَنْ لَيْسَ فِيهِ حِينَ تَسْأَلُهُ بَخْلٌ وَلَا فِي صَفْوِهِ رَفَقٌ⁽¹⁾

ومنه -أيضاً- قوله (ابن علس، 2003، ص 101):

وَلِدَاكُمْ زَعَمْتَ تَمِيمٌ أَنَّهُ أَهْلُ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَالْبَاعِ

فقد حاول الشاعر أن يناغم بين وصف ممدوحه بالشدة واللين بما يتناسب مع الموقف.

رابعاً: الحكمة والبيان

يتضح في شعر المسيب وجود صفات متفرقة؛ غرضها إبراز الصورة المثلى للممدوح في أشعاره، وقد كان للعقل نصيب من تلك الصفات؛ فامتاز هذا الممدوح -أيضاً- بالحكمة كما يظهر في قول الشاعر (ابن علس، 2003، ص 87):

وَلَأَنْتَ أَبِينُ حِينَ تَنْطِقُ مِنْ لِقْمَانَ لَمَّا عِيَّ بِالْأَمْرِ⁽²⁾

خامساً: الحياء

جعل الشاعر ممدوحه -فضلاً عما مضى- يتسم بالحياء، كما نرى في قوله (ابن علس، 2003، ص 88):

وَلَأَنْتَ أَحْيَا مِنْ مُحَبَّاتِهِ عَذْرَاءٌ تَقْطُنُ جَانِبَ الْكِسْرِ⁽³⁾

غير أن هذه الصفة -كسابقتها- لم ترد غير مرة في أشعاره، شأنها شأن بقية الصفات التي ستعرض فيما بعد.

سادساً: الوفاء

كان الوفاء من أكثر ما ينال اهتمام العربي في البيئة القديمة، وما يزال، غير أن الشاعر لم يكثر من وصف ممدوحه بالوفاء، فقد ورد ذلك مرة واحدة فيما وصلنا من شعره، وهو قوله (ابن علس، 2003، ص 99):

(1): المداد: من المد، ومدّه: أعطاه. ذو حدب: ذو عطف. الخليفة: الطبيعة التي يخلق بها الإنسان. رجل غلق: سيئ الخلق. البخل والبخل: ضد الكرم. رفق: كدر.

(2): لقمان: لقمان بن عاد الأكبر، وهو معروف في النباهة والقدر والعلم والحكم واللسان والحلم، وهو غير لقمان المذكور في القرآن الكريم.

(3): تقطن: تسكن. الكسر: الشقة السفلى من الخباء.

تُودِي بِذِمَّتِهِ عَقَابُ مَلَأَع (1)

أَنْتَ الْوَفِيُّ فَمَا تُدَمِّمْ وَبَعْضُهُمْ

سابعًا: الأصل والنسب

شغل العربي منذ القدم اعتداده بأصله ونسبه، وهو ما جعل الشعراء يتخذونه لمدح ومدوحهم، وما ورد فيما وصل إلينا من أشعار المسيب في هذا المورد قوله (ابن علس، 2003، ص 108):

بَذَخُ الْمُلُوكِ وَدَانَتْ السُّوقُ (2)

يَا بَنَ الَّذِي دَانَتْ لِعِزِّهِمْ

وبهذا يتضح أن الشاعر ركّز على رسم صفات ومدوحه الخلقية، مازجاً بين وصفهم بالشدة واللين والشجاعة والحياء، ونال الكرم النصيب الأكبر من التغني به والثناء عليه.

2.2.2 صورة الممدوح في شعر رودكي

لم تختلف صورة الممدوح بين الشعراء إلا في أمور فرعية، فلا بد لهم من أن يصوروا الممدوح بالصفات المثلى التي تعجب السامع والممدوح، لذا فقد صور الشاعر الفارسي "رودكي" ممدوحه بما كان مستحباً من صفات في بيئته، وفيما يلي أهم ما ورد منها فيما جاء في شعره.

أولاً: الكرم

لعل شاعراً يهتم بالتكسب في مدحه مثل "رودكي" سيجعل الكرم السمة الأبرز في الممدوح، فلا تكاد تخلو قصيدة مدحية له -مما وصل إليه الباحث- من التغني بكرم الممدوح، ومن ذلك مثلاً قوله (السمرقندي، 1954، ص 76):

رستم داستان تویی اندر نبرد

حاتم طایی تویی اندر سخا

نی، که رستم نیست در جنگ تو مرد

نی که حاتم نیست با جود تو داد

(أنت حاتم الطائي في كرمك، والبطل رستم في شجاعتك. أين منك حاتم في الكرم؟ وأين منك رستم في

الشجاعة؟)

حاتم الطائي هنا هو ذاته العربي المعروف بالكرم، ورستم هو ابن البطل المعروف "زال"؛ بطل من أبطال الشاهنامه -ملحمة الفرس الكبرى- وأشهر أبطالها، إذ يُضرب به المثل في القوة والشجاعة، وقد كان الشخصية الرئيسية التي قامت عليها الكثير من قصص الشاهنامه (فسايي، 1960، ص 409-453).

كما يتضح أن الشاعر يتغنى بعبء الممدوح وحكمته في تشبيهه مقلوب يدل على مبالغته في الوصف، وهو قوله (السمرقندي، 1954، ص 89):

(1): تودي: تهلك. الذمة: العهد والكفالة. ملاع: هضبة عقبانها أخبث العقبان.

(2): داننت: من الدّين، وهو الطاعة. البذخ: الكبر. السوق: الرعية التي تسوسها الملوك.

گر شود بحر کف همت تو موج زنان
ور شود ابر سر رایت تو توفان بار

(لو كان البحر يدك لكانت همتك الأمواج، ولو كان الغيم هامتك لكان الطوفان رأيك).

كما تتضح المبالغة في وصف الممدوح بالكرم، والتي تتكرر في قوله (السمرقندي، 1954، ص 79):

کس نشناسد همی که: کوشش او چون؟
خلق نداند همی که بخشش او چند؟

(لم ير أحد نظيراً لسعيك، ولا أحد يعلم مقدار ما تنفقه في عطاءاتك).

كما تتطور المبالغة في وصف الممدوح بالكرم، وتزداد في بعض أشعاره، ومن ذلك قوله (السمرقندي، 1954، ص 102-103):

با دو کف او، زبس عطا که ببخشد
خوار نماید حدیث وقصه ی طوفان

لا جرم از جود و از سخاوت اویست
نرخ گرفته حدیث و صامت لرزان

نعمت او گستریده بر همه ی گیتی
آنچه کس از نعمتش نبینی عریان

(لكثر ما أعطى بكفيه يبدو حديث قصة الطوفان صغيراً؛ إذ جعل كرمه وسخاؤه الصامت ينطق متحدثاً عن

أفعاله؛ فقد نالت الدنيا قاطبة من عطائه، ولا يمكن أن تقابل شخصاً لم ينل من فيض هباته).

ثانياً: الفروسية والشجاعة

كانت الفروسية والشجاعة - كما ذكر آنفاً - من أهم الصفات التي تغنى بها القدماء، وقد تغنى بها رودكي، ونسبها إلى ممدوحه لرفع شأنهم؛ فنرى ممدوحه لا يهاب الصعاب ولا الوحوش في حروبه، ومما قاله في هذا الشأن (السمرقندي، 1954، ص 116):

آن کس که ترا دید و ترا بیند در جنگ
داند که تو با شیر به شمشیر در آبی

(من رآك في المعركة يعلم أنك تستطيع التغلب على أسد بسيفك).

ومن تغنيه بالشجاعة - أيضاً - قوله (السمرقندي، 1954، ص 101-102):

سام سواری، که تا ستاره بتابد
اسب نبیند چنو سوار به میدان

ورش بدیدی سفندیار گه رزم
پیش سنانش جهان دویدی ولرزان

(إنه فارس - مثل سام - وصل ألقه عنان السماء؛ إذ لم تعرف الخيل فارساً مثله في ميدان المعركة، وهو

مثل إسفنديار في القتال؛ إذ ترتجف الدنيا من سنانه، وتقرّ منه).

سام: هو بطل إيراني ورد في الشاهنامه، وله الكثير من الأوصاف التي وردت في أبياتها، ومنها: سيد

الدنيا، والمنتصر، وبطل الأرض، والأسد (فسايي، 1960، ص 528-533)؛ وإسفنديار بطل من الشخصيات

الفارسية الأسطورية التي يُشهد لها بالقوة والشجاعة، والتي وردت في أساطير الفرس وحكاياتهم التي يتغنون بها،

ومنها: الشاهنامه؛ التي سطرت ملاحمهم وبطولاتهم، وخلدت حروبهم وأبطالهم، وله -أيضاً- الكثير من الألقاب والأوصاف التي وردت في أبيات مختلفة من الشاهنامه، ومنها: قاتل التتئين، وصارع العفاريت، وفتح العالم، وغيرها (فسايي، 1960، ص 84-85).

ثالثاً: الحكمة والعقل

اتسم ممدوحو الشاعر بالحكمة ورجاحة العقل، وهو ما تكرر مراراً في أشعاره المدحية، ومن ذلك (السمرقندي، 1954، ص 85):

رای وزیران ترا به کار نیابد هر چه صوابست بخت خود فرماید

(لا تأخذ برأي وزرائك؛ فما تراه أنت هو الصواب).

ومن تغنيه بحكمة الممدوح -أيضاً- قوله (السمرقندي، 1954، ص 79):

از ملکان کس چنو نبود جوانی راد و سخندان و شیرمرد و خردمند

(لم يكن له نظير بين الملوك، فهو حكيم وشهم وقوي وعاقل).

ومنه أيضاً (السمرقندي، 1954، ص 101):

ور تو حکیمی وراه حکمت جویی سیرت او گیر و خوب مذهب او دان

آن که بدو بنگری به حکمت گویی اینک سقراط وهم فلاطن یونان

گر بگشاید زبان به علم و حکمت گوش کن اینک به علم و حکمت لقمان

(إن كنت حكيماً وتتبع طريق الحكماء فخذ بسيرته واعلم مسيرته جيداً؛ فلو تأملته جيداً لظننته سقراط في

الحكمة، أو أفلاطون اليوناني، وإن انطلق لسانه بالكلام في مجالات العلم والحكمة فأصغ إليه؛ فهو بعلم لقمان

الحكيم وحكمته).

رابعاً: الاهتمام بالأدب والشعر

عاش رودكي بين السامانيين وأمراء بخارى الذين كانوا مركزاً للعلم والأدب وملاناً للشعراء والكتّاب، فكان عصرهم من أمتع العصور الثقافية في الأدب (فلاح، 1976، ص 16-17)؛ لذا فليس مستبعداً أن تبرز هذه السمة لدى ممدوح الشاعر كسمة يُتغنى بها؛ إذ كان الشاعر -كما يبدي لنا شعره- من أهل الأدب والعلم، وهو ما جعله قادراً على تقصي هذه الصفات في ممدوحيه، ومن ذلك قوله (السمرقندي، 1954، ص 101-102):

مرد ادب را خرد فزاید و حکمت مرد خرد را ادب فزاید و ایمان

مرد سخن را ازو نواختن و بر مرد ادب را ازو وظیفه‌ی دیوان

(هو رجل الأدب فضلاً عن العقل والحكمة، وهو رجل العقل فضلاً عن الأدب والإيمان، وهو رجل المنطق

فأثّن عليه، وهو رجل الأدب وإليه ترجع الدواوين).

خامساً: العفو

امتاز ممدوحو الشاعر "رودي" أيضاً بالعفو، وهو ما يتبين في قوله (السمرقندي، 1954، ص 103):

با رسن عفو آن مبارک خسرو حلقي تنگست هر چه دشت و بيابان

پوزش بپذيرد و گناه ببخشد خشم نراند، به عفو كوشد و غفران

(لقد أمسك المبارك خسرو برسن العفو، فبدأ كأنه خاتم ضيق على الصحاري والبيد؛ فهو يقبل الأعذار،

ويغفر الخطايا، ولا يغضب، ويعمل بحكم العفو والمغفرة)

والمبارك خسرو -هنا- من أمراء خراسان كما تبين من أبيات القصيدة.

سادساً: الأصل والنسب

كان لأصل الممدوحين وأنسابهم نصيب مما تغنى الشاعر به في إتمام صورة الممدوح في شعره، ومن ذلك قوله

(السمرقندي، 1954، ص 84):

كرا بزرگ و نعمت زاین و آن بودی ورا بزرگ و نعمت زال سامان بود

(ذاك الذي كانت عظمته ونعمته من آل سامان).

وآل سامان -هنا- هم أمراء الحكومة السامانية التي عاش الشاعر في كنفها، والتي كانت في خراسان،

وكان حكامها وأمرؤها على صلة وثيقة بالشعراء (السمرقندي، 1954، ص 11).

إنه -هنا- يفخر بانتسابه إلى قوم سامان، ومن الثناء على الأصل الطيب للممدوح -أيضاً- قوله

(السمرقندي، 1954، ص 101):

پاکی اخلاق او و پاک نژادی با نیت نیک و با مکارم احسان

(هو نقي الخلق، ونقي الأصل، وذو سريرة طيبة، وأخلاق حسنة).

ومنه -أيضاً- قوله (السمرقندي، 1954، ص 101):

خلق زخاک وزآب و آتش و بادند وین ملک از آفتاب گوهر ساسان

(الناس من تراب وماء ونار ورياح، وهذا الملك من شمس جوهره ساسان)

وساسان -هنا- ابن بهمن بن إسفنديار البطل الفارسي المعروف، وهو من علية القوم، وإليه تُنسب الحكومة

الساسانية، التي كانت من أقوى الحكومات وأشهرها (فسايي، 1960، ص 521 وما بعدها).

سابعاً: الشهرة

ذيع صيت الممدوح من الخصال التي نالت حظاً في إبرازها في القصائد المدحية للشاعر، ومن ذلك قوله

(السمرقندي، 1954، ص 79):

دست و زبان زر و در پراکند او را نام به گیتی نه از گزاف پراکند

(یده ولسانه ینثران الدر والجواهر، وقد جعلاه ذائع الصیت فی أرجاء الدنیا).

ثامناً: العدل

كان العدل أيضاً من الصفات التي عرج عليها الشاعر في وصف الممدوح، ومن ذلك يتضح (السمرقندي، 1954، ص 102):

باز به هنگام داد و عدل بر خلق نیست به گیتی چنو نبیل سلیمان

داد ببايد ضعيف همچو قوی زوی جور نبینی به نزد او و نه عدوان

(هو ينشر العدل بين الخلق وليس مثله في الدنيا سوى الملك سليمان النبيل؛ فترى الضعيف والقوي سواسية لديه، فلا أحد يتعرض للظلم والعدوان في ظله).

تاسعاً: الجمال

لعل من الصفات التي خالفت التوقع قليلاً في التغني بها جمال الممدوح؛ فالمعروف أن التغني بالجمال يكون في الغزل، ولكن الشاعر هنا يضيف على ممدوحه صفات جسمية فضلاً عن الصفات الخلقية التي سبق وأشار إليها، ومن ذلك قوله (السمرقندي، 1954، ص 101):

ور تو بخواهی فرشته ای که ببینی اینک اویست آشکارا رضوان

خوب نگه کن بدان لطافت و آنروی تا تو ببینی بر این که گفتم برهان

(إن كنت تريد أن ترى ملاكاً فهي هو أمامك، وكأنه رضوان. فانظر إلى هذا اللطف وهذا الوجه لترى الدليل على ما قلته).

ومن ذلك أيضاً تفضيل الممدوح على القمر في قوله (السمرقندي، 1954، ص 88):

نه ماهی سیامی، نه ماه فلک که آینت غلامست و آن پیشکار

(یأتیک قمر سیام وقمر السماء خادمین لك).

وقمر سیام: هو قمر اختلقه "المقنع الخراساني" من خلف جبل سیام، ولهذا یسمى -أيضاً- بقمر المقنع

(السمرقندي، 1954، ص 205).

ويتضح مرة أخرى أن الشاعر يفضل الممدوح على الشمس في قوله (السمرقندي، 1954، ص 104):

طلعت تابنده تر زطلعت خورشید نعمت پاینده تر زجودی و ثهلان

(وجهك أكثر إنارة من وجه الشمس، ونعمتك أرسخ من الجودي والثهلان)

فالجودي وثهلان هنا جبلان؛ إذ يطلّ الأول على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي في دجلة، وعليه استوت سفينة نوح (الحموي، 1977، ص 179)، والثهلان: جبل بالعالية، فيه ماء ونخيل (السمرقندي، 1954، ص 88).

في موضع آخر يتغنى بجمال الأمير الذي كان ذاهباً إلى بخارى، وكأنه يتغنى بمحبوبته، فيقول (السمرقندي، 1954، ص 113):

مير ماهست وبخارا آسمان
ماه سوى آسمان آيد همي
مير سروست وبخارا بوستان
سرو سوى بوستان آيد همي

(الأمير قمر وبخارى السماء؛ والقمر في طريقه إلى السماء. الأمير سرو وبخارى حديقة؛ والسرو في طريقه إلى الحديقة).

فالتشبيه بالقمر والسرو من التشبيهات الرائجة جداً للمعشوق في الثقافة الفارسية.

2.3 صورة الشاعر في أشعارهما المدحية

قلما تظهر صورة الشاعر في قصائد المدح، فالتركيز يكون فيها على الممدوح، غير أنه يمكن أن يُشار إلى شيء من شخصية الشاعر مما وراء السطور في أبياته بشكل غير قطعي؛ إذ يمكن أن يبدي الشاعر نفسه في قصيدة ضعيفاً محتاجاً، وأخرى يبدي نفسه فيها ألبياً، وهذا ما يجعل رسم صورة محددة له أمراً صعباً، خلافاً للمدوحين؛ إذ إن تعددهم يجعل إمكانية التماس تعدد صفاتهم وشخصياتهم عند دراسة صورة الممدوح أمراً ممكناً؛ ومن هنا جاءت الدراسة في محاولة رسم شخصية الشاعر كما تراءت في أشعاره المدحية.

2.3.1 صورة الشاعر في شعر المسيب

كانت الأبيات التي أبرز فيها المسيب ملامح شخصيته قليلة إلى حد ما، ولكن يمكن الكشف عن تخليه عن عزة نفسه أحياناً حينما كان يظهر حاجته، وذلك ما اتضح في الأبيات التي كانت غايتها التكسب، ومنها (ابن علس، 2003، ص 109):

مِثْلُ النَّخِيلِ صِغَارُهَا السُّحْقُ (1)

قَدْ نَأْنِي مِنْهُ عَلَى عَوَزٍ

ومنها أيضاً (ابن علس، 2003، ص 86):

سَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتِ بِالْقَفْرِ (2)

وَأَيْنِكَ أَعْمَلْتُ الْمَطِيَّةَ مِنْ

(1): العوز: الحاجة. النخلة السحوق: الطويلة التي بعد ثمرها عن المجتبي.

(2): القفر: اسم موضع.

ولم يتبين من خلال أبيات في أشعاره المدحية بأنه أظهر فيها أنفته، أو كبريائه، أو أية سمة أخرى له - في هذا النوع من القصائد- تبين لنا جانباً من شخصيته؛ فصورة الشاعر غير كاملة إطلاقاً، ولكن يبدي جانباً من تلك الصورة.

2.3.2 صورة الشاعر في شعر رودكي

يظهر الشاعر محاولته للتقليل من شأن نفسه أمام الممدوح، فهو لا يتذلل، ولكنه لا يتفاخر بنفسه أيضاً، بل يحاول أن يظهر أن محاولاته في المدح لا تفي الممدوح حقه، ومن ذلك (السمرقندي، 1954، ص 103-104):

لفظ همه خوب وهم به معنی آسان	اينک مدحی، چنانکه طاقت من بود
ورچه جريم به شعر و طایى وحسان	جز به سـزلوار مير گفت ندانم
خيره شـود بيروان وماند حيران	نيست شگفتی که رودکی به چنين جای
تا بشناسند درست مير سخندان	مدح رسـولست، عذر من برسـاند

(هذا ما كان بمقدوري في مدحك، فكل ما قلته كان بلفظ جميل ومعنى واضح، ولكني لا أستطيع أن أقول ما هو لائق بالأمير، على الرغم من أنني لا أقل شأناً عن الشعراء المعروفين كجبرير وحاتم الطائي وحسان بن ثابت، وليس غريباً أن يكون "رودكي" حائراً في موضع كهذا -أمام عظمة الممدوح- أو مذهولاً، ولكن المدح رسول سيوصل عذري، حتى يعرفه الأمير الذي هو سيد البيان).

فالشاعر هنا لم يقلل من شأن نفسه إلى حد الصّعة، ولكنه لم يفخر بها كما هو متوقع، بل قرّمها أمام الممدوح. غير أنه في بعض الأبيات التي أظهر فيها تكسبه -وفق ما درس سابقاً- حظّ من قدر نفسه في تكسبه، ومن ذلك قوله (السمرقندي، 1954، ص 84):

مرا به خانەى او سيم بود و حملان بود	كجا به گيتى بوده ست نامور دهقان
-------------------------------------	---------------------------------

(أينما وجد شخص معروف في هذه الأرض فستراني ذاهباً إليه لأحصل على عطايه).

ومنه -أيضاً- قوله (السمرقندي، 1954، ص 88):

مگر جودش ابرست، ومن گشتزار	مرا جود او تازه دارد همی
----------------------------	--------------------------

(دائماً ما يتجدد عليّ فيض كرمه؛ كما لو أنه غيمة وأنا مزرعة).

2.4 صورة الآخر في أشعارهما المدحية

2.4.1 صورة الآخر في شعر المسيب

ما عرضه الشاعر من تصوير للآخر في أشعاره المدحية لا ينفك عن كونه أحد أمرين؛ عدو أو غير عدو، والأخير يشمل: المستفيدين من العطايا وأنداد للممدوح في العطاء. وقد صورهم الشاعر كالاتي:

أولاً: العدو

صور الشاعر العدو مبغضاً يعمل ما بوسعهُ للقضاء على الممدوح، كقوله (ابن علس، 2003، ص 100):

وَإِذَا رَمَاهُ الْكَاشِحُونَ رَمَاهُمْ
بِمَعَابِلٍ مَذْرُوبَةٍ وَقِطَاعٍ (1)

ويتضح -مرة أخرى- أن الشاعر يصور العدو مشتتاً حيران لا يعرف ماذا يفعل في مواجهة الممدوح وأعوانه، كقوله (ابن علس، 2003، ص 110):

وَتَنَازَلُوا شُغْعَنَا مَقَادِمُهُمْ
حَمَلُوا السُّيُوفَ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ
وَتَرَوُرُ أَرْضَهُمْ بِذِي لَجَبٍ
كَغَمَاغِمِ الثَّيْرَانِ بَيْنَهُمْ
مُتَوَسِّمِينَ وَبَيْنَهُمْ حَنْقُ
وَعَلَى الْأَكْفِ وَبَيْنَهُمْ عَلَقُ
قَصَدَ الْعَشِيَّ غَبُوقَهُ الْمَرْقِ
صَرَبٌ تُغَمِّضُ دُونَهُ الْحَدَقُ (2)

ومن ذلك تصوير العدو في حالة هلع من مواجهة الممدوح أيضاً، كقوله (ابن علس، 2003، ص 99):

تَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ الْكَثِيرِ سِلَاحُهُمْ
فَيَبِينُ مِنْهُ الْقَوْمُ فِي وَعْوَاعٍ (3)

ثانياً: غير العدو

صوّر الشاعر غير العدو في شعره المدحي على أنه ممن يستفيد من عطايا الممدوح أحياناً، من قبيل (ابن علس، 2003، ص 88):

وَلَهُ جِفَانٌ يَدْجُونَ بِهَا
لِلْمُعْتَفِينَ وَالَّذِي يَسْرِي (4)

وهو ما تكرر مرة أخرى في قوله (ابن علس، 2003، ص 98):

وَإِذَا تَهَيَّجَ الرِّيحُ مِنْ صُرَادِهَا
أَحَلَّتْ بَيْنَكَ بِالْجَمِيعِ وَبَعْضُهُمْ
تَلْجَأُ يُنِيخُ النَّيْبَ بِالْجَعْجَاعِ
مُتَفَرِّقٌ لِيَحُلَّ بِالْأَوْزَاعِ (5)

(1): الكاشح: المبعض. المعابل: جمع المعبلة، وهي نصل طويل وعريض. مذبوبة: محددة. قطاع: جمع القطع، وهو السهم العريض.

(2): تنازلوا: من المنازلة في الحرب. الشعث: مغبر الرأس. مقادم: جمع مقدم، وهي مقدمة الجيش. الحنق: شدة الاغتيال. العواتق: ما بين المنكب والعنق. العلق: الخصومة. اللجب: صوت العسكر. الغبوق: الشرب بالعشي. المرق: الذي يؤتدم به. غماغم الثيران: أصوات الثيران عند الذعر. حدقة العين: سوادها الأعظم.

(3): الوعاع: الصوت والجلبة.

(4): جفان: جمع جفنة، وهي أعظم ما يكون من القصاص.

(5): الصرّاد: ريح باردة مع ندى. الناب: الناقة المسنة. الجعجاع: المكان الضيق الخشن الغليظ. أحلت: أقت. الأوزاع: بيوت منتبذة عن مجتمع الناس.

كما يتضح صورة أخرى للآخر غير العدو في شعر المسيب؛ وهي أن يكون ممن يحاول أن يكون نداءً للممدوح في كرمه أو في صفاته، والأمر محسوم -دون شك- لصالح الممدوح في القصيدة، ومن ذلك قوله (ابن علس، 2003، ص 116):

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْفَاعِلِينَ وَفِعْلَهُمْ
وَلِذِي الرَّقِيبَةِ مَالِكٍ فَضْلٌ (1)

ومن ذلك أيضاً قوله (ابن علس، 2003، ص 108):

وَأَغْرُ تَقْصُرُ دُونَ غَايَتِهِ
عُرُّ السَّوَابِقِ حِينَ تَسْتَبِقُ (2)

2.4.2 صورة الآخر في شعر رودكي

نال الاهتمام بتصوير العدو في شعر "رودكي" أهمية نابعة من كونه وسيلة لتضخيم الممدوح؛ إذ صور الشاعر العدو على أنه جبان أو ضعيف في مواجهة الممدوح، غير أنه يصعب فصل الأبيات التي تميزت بوصف صورة الآخر العدو فقط عن تلك التي صورت الآخر غير العدو -والمقصود هنا: المؤيدون، والأصدقاء، والمستفيدون من العطايا، والجاهلون- في أشعاره المدحية، لذلك سنتناول الدراسة صورة الآخر تحت عنوان واحد؛ في البداية ما اختص بالعدو وحسب، ثم ما ورد فيها العدو وغير العدو معاً. إذ يصور رودكي العدو مهزوماً دائماً في أبياته المدحية، كما في قوله (السمرقندي، 1954، ص 102):

دشمن از اردهاست، پیش سنانش
گردد چون موم پیش آتش سوزان

(حتى وإن كان العدو تتيماً ضخماً فإنه يصبح عند مواجهة رماحه كالشمع في مواجهة النار).

ومنه (السمرقندي، 1954، ص 135):

ماهي دیدی کجا کبودر گیرد؟
تیغت ماهی است، و دشمنانت کبودر

(أرأيت كيف يأكل السمك ديدان الماء؟! سهامك سمك، وعدوك كديدان الماء).

كذلك قوله (السمرقندي، 1954، ص 145):

به چنگال قهر تو در خصم بد دل
بود همچو چرزی به چنگال شاهین

(يكون الخصم المبغض في قبضتك القوية كالحباري في قبضة شاهين).

وقد كرر إلحاق الضعف بالعدو مرة أخرى، وذلك في قوله (السمرقندي، 1954، ص 103):

آن ملك نيمروز و خسرو پيروز
دولت او يوز و دشمن آهوی نالان

(إنه ملك النهار المنتصر ذي الإقبال، وهو يبدو كأنه الفهد، ويبدو عدوه كأنه غزال متأوه).

(1): ذو الرقبة مالك: هو مالك بن سلمة الخير بن قشير الذي أسر حاجب بن زُرارة يوم جيلة.

(2): أغر: كريم الأفعال واضحا. عُرُّ السوابق: من غرة الشيء، أي: أوله.

وقد اختصت بعض الصور ببيان صورتين مزدوجتين للعدو والصدیق، كما في قوله (السمرقندي، 1954، ص 116):

آنان که گرفتار شدند از سپاه تو از بند به شمشیر تو یابند رهایی

(أولئك الذين ضيق عليهم على يد جيشك لاقوا الخلاص بسيفك).

فلدینا صورتان هنا للجيش المؤید المنتصر والعدو المهزوم، كما جاء بیان وضع العدو والمؤیدین—أحياناً— في صورة دعاء، كما في البيت (السمرقندي، 1954، ص 89):

بر موالیت بپاشد همه در و گوهر بر اعادیت ببارد همه شخکاشه وخار

(فلتنثر الدرر والجواهر على مؤيدك! ولتسقط الثلوج والشوك على أعدائك!)

وقد قابل الشاعر بين صورة مؤيدي الممدوح ومعارضيه في غير بيت؛ فنسب القوة للمؤیدین، والضعف والهزيمة والهوان للآخرین، كقوله (السمرقندي، 1954، ص 79):

ای ملک، از حال دوستانش همی ناز ای فلک، از حال دشمنانش همی خند

(يسعد الملك لحال رفاقه، وتضحك السماء بسبب حال أعدائه).

كما تكررت هذه المقابلة في أبيات أخرى، كقوله (السمرقندي، 1954، ص 91):

چاکرانت به گه رزم چو خیاطانند گرچه خیاط نیند، ای ملک کشورگیر

به گز نیزه قد خصم تو می پیمانند تا ببرند به شمشیر و بدوزند به تیر

(أيها الملك الفاتح، أتباعك في الحروب كالخياطين على الرغم من أنهم ليسوا كذلك؛ فهم يقيسون مقاس العدو بالرمح حتى يقطعه بالسيف، ويخيطوه بالسهم).

كما يُلاحظ هذه المقابلة بين صورة العدو وصورة من نالهم كرم الممدوح وعطاياه في قوله (السمرقندي، 1954، ص 91):

همی بگشتی تا در عدو نماند شجاع همی بدادی تا در ولی نماند فقیر

(قتلت من الأعداء حتى لم يبق بينهم شجاع، ووهبت الفقراء حتى لم يبق بينهم فقير)

كما طالعنا في شعره المدحيّ صورة أخرى للآخر الجاهل، وهي قوله (السمرقندي، 1954، ص 130):

همه نیوشه‌ی خواجه به نیکویی وصلحت همه‌ی نیوشه‌ی نادان به جنگ وفتنه وغوغاست

(كل ما يسعى إليه السيد—الممدوح— هو الصلح والخير، وكل ما يسعى إليه الجاهل هو الفتنة والحرب

والجلبه).

بهذا؛ يتضح أن الشاعر لم يفصل صورة ممدوحه عن صورة العدو والصديق في البيت الواحد، بل كانت صورته مركبة تبرز صفات الممدوح؛ بتعظيم الممدوح ومؤيديه، وتحقير مخالفيه.

2.5 المبالغة في المدح

يعتمد المدح على المبالغات والغلو والإغراق في إظهار الصفات الإيجابية للممدوح، وتعظيمها، وتسليط الضوء عليها من جهة، والتغاضي عن السيئات، وغض الطرف عنها من جهة أخرى؛ ومن هنا اشتهر الشعر المدحي - عامةً - بالمبالغة والغلو، وهو ملاحظ فيما مرّ من أبيات لدى كلا الشعارين، غير أن هذه الدراسة ستشير إليه إشارات لتجنب الإطالة.

2.5.1 المبالغة في شعر المدح لدى المسيب

يتضح وجود مبالغات المسيب في محاولاته لتعظيم ممدوحيه من استخدامه للاستعارات والتشبيهات والتصوير، وبالمرور على أبياته المدحية لما وُجد بيتاً يخلو من مبالغة، غير أن مبالغاته لا تخرج عن الإطار المألوف في المدح، ومن الأمثلة على ذلك (ابن علس، 2003، ص 86-87 & 98):

لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ	كُنْتُ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ بِالْعَطَاءِ مِنَ الرَّيِّ	نِ لَمَّا جَادَ بِالْقَطْرِ
وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ	يَقَعُ الصَّرَاخُ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ (1)
وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنْ خَلِيَجٍ مُفْعَمٍ	مُتْرَاكِمِ الْأَدْيِيِّ ذِي دُقَاعٍ (2)

ومنه أيضاً (ابن علس، 2003، ص 108-109):

بَحْرٌ مِنَ الْمَدَادِ نُو حَدَبٍ	سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَا بِهِ غَلَقٌ
وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ	شُدَّ الْمَنَاطِقُ تَحْتَهَا الْخَلَقُ (3)

2.5.2 المبالغة في شعر رودكي

تميز شعر رودكي بالإغراق، وقد برز ذلك في قصائده المدحية، غير أن إغراقه لم يخرج عما يقبله العقل والمنطق (فلاح، 1976، ص 24)؛ إذ لجأ الشاعر إلى الكثير من الصور التي تبدي المبالغة والإغراق فيما أُراده للممدوح، وكانت وسيلته - غالباً - تشبيهات عدة واستعارات، ومن ذلك (السمرقندي، 1954، ص 76):

(1): الرِّيَّان: جبل في ديار طيِّئ لا يزال يسيل منه الماء. أسامة: من أسماء الأسد. لَجَّ في الأمر: تَمَادَى عليه وأبَى أن ينصرف عنه، وَلَجَّ في الدُّعْرِ: تتابع الناس في الفرع.
(2): الخليج: نهر يقطع من النهر الأعظم إلى موضع ينتقع به فيه. مفعم: ممتلئ. الأدي: الموج الشديد. الدُّفَاع: كثرة الماء وشربته.
(3): المداد: من المد، ومدّه: أعطاه. نو حدب: ذو عطف. الخليقة: الطبيعة التي يخلق بها الإنسان. رجل غلق: سيئ الخلق. المناطق: جمع المنطق، وهو كل ما شددت به وسطك. الحلق: السلاح عامة، والدروع خاصة.

رستم داستان تویی اندر نبرد

حاتم طایی تویی اندر سخا

نی، که رستم نیست در جنگ تو مرد

نی که حاتم نیست با جود تو راد

(أنت حاتم الطائي في كرمك، والبطل رستم في شجاعتك. أين منك حاتم في الكرم؟ وأين منك رستم في

الشجاعة؟)

ومنه أيضاً (السمرقندي، 1954، ص 89):

ور شود ابر سر رایت تو توفان بار

گر شود بحر کف همت تو موج زنان

(لو كان البحر يدك لكانت همتك الأمواج، ولو كان الغيم هامتك لكان الطوفان رأيك)

فالتشبيه المقلوب -هنا- أدى غرض المبالغة، وبالعودة إلى أبياته -التي ذُكرت تحت عنوان: "صورة الممدوح"- يتبين أنها جميعاً لا تخلو من مبالغات عميقة تخرج عن الحد المألوف في المدح أحياناً؛ فهو يكثر من استخدام التشبيهات المقلوبة، والاستدراك عن تشبيهات مألوفة لتعظيم الممدوح، ولا يكف عن ذكر شخصيات تاريخية معروفة لإظهار تفوق الممدوح عليها في الصفة التي أراد إبرازها، وتجنباً للتكرار لن تتناولها الدراسة تحت هذا العنوان.

3. قراءة مقارنة

يتضح وجود الكثير من العناصر المشتركة في الظواهر المدروسة بين الشاعرين، غير أن ما يميزها هو الاختلافات؛ فهي التي تكسب شعر كل منهما طابعه، وقد يتعلق بعض هذه الاختلافات بأسلوب الشاعر، من قبيل ميله إلى التصوير والمبالغة، وقد يعود بعضها إلى البيئة، مثل ميل الشاعر إلى تصوير الاهتمام بالشعر أو رجاحة العقل وغير ذلك.

إذا ما قُورنت الدوافع التي كانت السبب المباشر للشعر المدحي عند كل من الشاعرين لتبين أن التكسب من المدح كان الدافع الأقوى والأبرز لدى كل منهما، وبرز التكسب في الطلب المباشر والتردد على الممدوح لنيل عطايه، غير أن المسيب أبرز عوزه وحاجته مرة، ولم يفعل "رودي" ذلك، بل اكتفى بإبراز حبه للعطايا، ونظراً لغزارة ما وُصل من شعر رودي مقارنةً بما وُصل من شعر المسيب -على الرغم من قلة ما وُصل من شعر رودي مقارنةً بغزارة شعره- يتضح أن الشواهد على تكسب "رودي" أكثر من الأول. فضلاً على هذا فإن الغرض الثاني -الذي لم يلقَ اهتماماً بالغاً لديهما- هو الإعجاب، والثالث: شكر الممدوح.

من جانب آخر كانت الأشعار المدحية لدى الشاعرين تركز على الممدوح، وتسلب الضوء على محاسنه الخلقية عامة، وقلمت ركزت الاهتمام على الآخر أو على الشاعر إلا في محاولات لإبراز الممدوح وتضخيمه مقارنة بالآخر وبالشاعر ذاته؛ لذا فقد تبين صورة الممدوح في شعر كليهما عريضة ومفصلة. كما ركز كل منهما على

ما نال الاهتمام في بيئته؛ فيتضح أن الكرم أبرز صفة للممدوح في شعر المسيب، وهذا أمر متوقع؛ فعندما يكون الدافع الأول للتكسب فلا بدّ من أن يكون الكرم السمة البارزة التي يركز عليه الشاعر، كما أبرز الشاعر صفة الشجاعة التي كانت من أهم الصفات الخلقية في البيئة العربية القديمة، وعرج على الحكمة والبيان والوفاء والعدل والأصل والنسب والحياء، ومما يلاحظ أن السمات الأربع الأخيرة وردت بقلّة في شعره، أما في شعر "رودكي" فقد كان الممدوح أعرض وصفاً وأدقّ تصويراً، وقد احتل الكرم المساحة الأبرز من صفاته، شأنه في ذلك شأن المسيب، وللسبب ذاته؛ فرغبة الشاعر بالتكسب من مدحه جعلته يهتم بإبراز ممدوحه كريماً، فلا تكاد تخلو قصيدة مدحية أو مقطوعة أو رباعية مدحية في شعره من الإفاضة في وصف الممدوح بالكرم، كما وصفه أيضاً بالشجاعة والفروسية، والحكمة والعقل، والاهتمام بالشعر والأدب، والعفو، والأصل والنسب، والشهرة والعدل والجمال؛ فتميز ممدوح رودكي عن ممدوح المسيب بالاهتمام بالشعر والأدب والشهرة والعدل والجمال، وربما كان مسبب الصفة الأولى -الاهتمام بالشعر والأدب- أن رودكي كان يختلط بأناس ممن لديهم هذا الاهتمام، كونهم في بيئة بلاط وقصور من جهة؛ وأن معظم ممدوحيه كانوا من الأمراء وذوي الشأن في الدولة من جهة أخرى، وهو ما يجعل اهتمامهم بهذه الأمور بارزاً؛ خلافاً للمسيب الذي كان في بيئة بدوية صحراوية وكان ممدوحوه أناساً أو أسياداً من تلك البيئة، وهذا هو شأن السمتين الآخرين -العدل والشهرة- عند ممدوح رودكي، فالعدل صفة من بيده القرار، والشهرة من نصيب الأمراء أكثر من غيرهم، وإن لم تكن مختصة بهم، ولكن يمكن تبرير اهتمامه بإبراز هذه الصفات بأن ممدوحيه كانوا من ذوي الشأن من أهل البلاط، وهو مما لم يلق اهتماماً لدى المسيب.

أما الصفة الأخيرة في الممدوح في شعر رودكي، أي: الجمال، فهي مما يمكن الوقوف عنده؛ إذ تعدّ من الصفات الجسمية، وليست من الخلقية التي يُرَكِّز عليها في المدح غالباً، وقد وصف رودكي ممدوحيه بصفات وتشبيهات تنطبق على المحبوبة في الشعر الفارسي، وربما يكون مردّ ذلك إلى فقدته للبصر، فكان يمزج الحسي -الذي لا يشعر به ولا يراه- بالخلقي، ويعامله معاملته في محاولة لتعظيم الممدوح دون أن يفصل بينهما، فالهدف الأسمى هو التعظيم. وقد ذُكر أنّاً أن الاهتمام كان منصباً على إبراز صورة الممدوح، وقلّما اهتم الشاعران بإبراز صورتيهما في القصائد المدحية، غير أنه يمكن أن يُستشف بعض الصفات مما وراء الكلمات، والسمة الأبرز التي يمكن التركيز عليها للشاعر في الأشعار المدحية إمّا عفة النفس وإمّا الضعة، وقد اتضح أن المسيب لم يراعِ إطلاقاً رسم صورة تدل على الأنفة والإباء، بل أظهر حاجته وفقره أحياناً، ورغبته بالعبء أحياناً أخرى؛ أي إنّه عكس لنا صورة مادية أحادية الجانب لنفسه، مخالفاً بذلك الشاعر "رودكي" الذي كان أقرب إلى محاولة التواضع والحطّ من شأن نفسه أمام الممدوح؛ إذ حاول تقزيم نفسه وشعره لتضخيم الممدوح مرة، والحطّ من شأن نفسه وإظهار اندفاعه وراء المال والمكاسب مرة أخرى. وعليه؛ فإنّ صورة الشاعر في مدحيات كل منهما كانت أحادية الجانب وتميل إلى التقليل من شأن الذات. كذلك لم تحطّ صورة الآخر بكثير من الأهمية في شعرهما المدحي، إلا

فيما يبرز جوانب معينة لدى الممدوح، كتصوير الآخر محتاجاً لكرم الممدوح، أو ضعيفاً أمام شجاعته، أو جاهلاً أمام حكمته، وغير ذلك، وقد كان الآخر لدى المسيب عدواً أو غير عدو بما يجعل إمكانية فصلهما عن بعضهما في شعره أمراً معقولاً؛ إذ صورّ العدو على أنه مشئت وضعيف، وصوّر غير العدو على أنه كان إماً نداءً للممدوح الذي يحاول أن يجاريه في الكرم أو الشجاعة دون جدوى، وإماً غريباً محتاجاً ينتظر كرم الممدوح وعطاياه، وقد كانت صورة الآخر لا تنفك عن كونها تحقيراً للعدو، وتقليلاً من شأن الند، وإبرازاً لحاجة الغريب، وكلها تنصب في بوتقة واحدة؛ هي تضخيم الممدوح وتعظيم شأنه.

أما في شعر "رودكي" فقد كانت صورة الآخر متصلة لا يمكن فصل الأبيات التي وردت فيها صورة العدو عن تلك التي أبرزت صورة غير العدو، إذ كانت أبياته التي تعكس صورة الآخر غالباً ثنائية التصوير للعدو وغيره، وقد برز فيها العدو ضعيفاً ومهزوماً، وشمل الآخر غير العدو في شعره -كما ذكر آنفاً- المؤيدين للممدوح، والمستفيدين من الكرم، والجهلة؛ فالمؤيدون صوّروا على أنهم شجعان ومنتصرون يستمدون قوتهم وانتصارهم من الممدوح، وصوّر الراغبون بالعطايا على أنهم ممن يرتوون من فيض كرم الممدوح، فكانوا وسيلة لإبراز كرمه، وعومل الجاهلون بحكم العدو، وكانت الصورة قائمة على تحقير الضدّ، وتعظيم الممدوح ومؤيديه أيضاً. من جانب آخر؛ وبالتركيز فيما استشهد به من أبيات للشاعرين معاً لاتضح أنهما استخدمتا المبالغة في المدح بغرض تضخيم صورة الممدوح وإبراز إيجابياتها، لكن هذه المبالغة كانت أوضح وأشدّ لفتاً للانتباه لدى "رودكي" منها لدى المسيب؛ فقد ضخم التصوير، ولجأ إلى الإفاضة في التشبيهات في البيت الواحد، وإلى التشبيهات المقلوّبة، والاستعارات التي تسبب المبالغة. وعليه؛ يمكن الحكم على أن الشاعرين اشتركا في الخطوط الرئيسية في أشعارهما المدحية، غير أنهما اختلفا في بيان تلك الخطوط، وفي الأمور الفرعية، مما أكسب كلاً منهما طابعه، وعكس أسلوبه الخاص في شعره.

4. خاتمة

كان المدح من الأغراض التي نالت الاهتمام لدى الشاعرين -المسيب بن علس ورودي السمرقندي-، وقد اشتركا في الخطوط الرئيسية لمقومات المدح، واختلفا في تفاصيل معينة اختلافات ناتجة عن أسلوبيهما، كلجوء رودكي إلى التشبيهات والإغراق أكثر من المسيب، فضلاً عن وجود اختلافات أخرى فرضتها البيئة، كوصف رودكي لممدوحه بالعدل والشهرة والجمال. وقد كان التكبّب وطلب العطايا والهبات من الممدوحين من أهم دوافع لجوئهما إلى المدح؛ أي كانت دوافع المدح متعلّقة بالشاعر ذاته وبشخصيته، فضلاً عن وجود دوافع أخرى كشكر الممدوح، وإبراز الإعجاب به؛ وهي من الدوافع التي تتعلق بشخصية الممدوح، وما تستوجبه من استحسان أو شكر. كما رسم الشاعران صورة عامة للممدوح في شعريهما، وامتازت تلك الصورة بإبراز الصفات التي تحظى بالاهتمام في

مجتمع كل منهما، وكان الكرم الصفة الأبرز للممدوح لدى كل منهما؛ إذ أكَثَرَ الشاعران من عرض هذه الصفة، نظراً لأن التكبُّب هو الغرض الأهم الذي دفع بهما إلى المدح، ولاقت الصفات الأخرى اهتماماً أقل، غير أنها تُكْمَل -بشكل عام- صورة الممدوح لدى كلٍّ من الشاعرين في أشعارهما المدحية، والتي جاءت في القصائد المدحية والأبيات المفردة، ويمكن -مثلاً- دراسة بنية القصيدة المدحية الكاملة كاقترح لمقالة متممة لهذه المقالة.

المراجع:

- ابن علس، المسيب. (2003). *الديوان*. (تحقيق: عبد الرحمن محمد الوصيفي). القاهرة، مكتبة الآداب.
- أحمداف، ميرزا. (2015). *مدح در اشعار رودكى: المدح في أشعار رودكي*. نُشر في موقع راسخون بتاريخ 20 / 11 / 2015. تم الاسترجاع من الرابط: <https://rasekhoon.net>
- الجبوري، كامل. (2002). *معجم الشعراء*. بيروت، دار الكتب العلمية.
- الحموي، شهاب الدين. (1977). *معجم البلدان*. بيروت، دار صادر.
- خسروي، حسين (1970). "سبك شعر رودكى: أسلوب رودكي الشعري". *مجلة اللغة الفارسية وآدابها في جامعة آزاد الإسلامية*، س1، ع1، 67-96.
- الزبيدي، محمد. (1994). *تاج العروس*. (تحقيق: عبد السلام هارون). (ط 2)، الكويت، مطبعة حكومة الكويت.
- السمرقندي، جعفر. (1954). *الديوان*. (تحقيق: سعيد نفيسي)، طهران، نكاه.
- شوارب، السعيد. (2008). *المدح في الشعر الجاهلي*. (ط 2)، الجيزة، مجموعة أجيال للتسويق والنشر.
- العاني، سامي. (1982م). *معجم ألقاب الشعراء*. الإمارات، مكتبة الفلاح.
- عبد الرحيم، رائد. (2010). *ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم*. *مجلة جامعة الأزهر بغزة- سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية*، 12 (1)، 421-466.
- فسايي، منصور رستگار. (1960). *فرهنگ نامهای شاهنامه: معجم أسماء الشاهنامه*. ج1، (ط 2)، طهران، مؤسسة الدراسات الإنسانية والثقافية.
- فلاح، غلام علي. (1976). *ساختار أشعار رودكي: بنية أشعار رودكي، متن شناسي ادبيات فارسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة أصفهان*، 23 (4)، 15-28.
- لوي، روبن. (1958). *درآمدی بر تاریخ ادبیات فارسی: مقدمة في تاريخ الأدب الفارسي*. ت. رويهاشميان. طهران، فهرستان.

المراجع بنظام الرومنة:

- Abn 'Els, Almsyb. (2003). *aldywan*. (thqyq: 'ebd alrhmn mhmd alwsyfy). alqahrh, mktbh aladab.
- Ahmdaf, Myrza. (2015). *mdh dr ash'ear rwdka: almdh fy ash'ear rwdky*. nushr fy mwq'e raskhwn btarykh 20/ 11/ 2015. tm alastrja'e mn alrabt: <https://rasekhood.net>
- Aljbrwy, Kaml. (2002). *m'ejm alsh'era'*. byrwt, dar alktb al'elmyh.
- Alhmwy, Shhab Aldyn. (1977). *m'ejm albladan*. byrwt, dar sadr.
- Khsrwy, Hsyn (1970). "sbk sh'er rwdka: aslwb rwdky alsh'ery". *mjlh allghh alfarsyh wadabha fy jam'eh azad aleslamyeh*, s1, 'e1. 67- 96.
- Alzbydy, Mhmd. (1994). *taj al'erws*. (thqyq: 'ebd alsalam harwn). (t 2), alkwynt, mtb'eh hkwmh alkwynt.
- Alsmrqndy, J'efr. (1954). *aldywan*. (thqyq: s'eyd nfysy), thran, nkah.
- Shwarb, Als'eyd. (2008). *almdh fy alsh'er aljahly*. (t 2), aljyzh, mjmw'eh ajyal lltswyq walnshr.
- Al'eany, Samy. (1982m). *m'ejm alqab alsh'era'*. alemarat, mktbh alflah.
- 'Ebd Alrhym, Ra'ed. (2010). zahrh altksb balsh'er wtjlyatha fy alnqd al'erby alqdynt. *mjlh jam'eh alazhr bghzh- slslh aladab wal'elwm alensanyh*, 12 (1), 421- 466.
- Fsayy, Mnswr Rstkar. (1960). *frhn گنام-هاش shahnamh: m'ejm asma' alshahnamh*. j1, (t 2), thran, m'essh aldrasat alensanyh walthqafyh.
- Flah, Ghlam 'Ely. (1976). sakhtar ash'ear rwdky: bnyh ash'ear rwdky, mtn shnasy adbyat farsy, *klyh aladab wal'elwm alensanyh fy jam'eh asfhan*, 23 (4), 15-28.
- Lwy, Rwbn. (1958). *dramda br tarykh adbyat farsa: mqdmh fy tarykh aladb alfarsy*. t. rwyah hashmyan. thrn, fhrstkan.